الأبعاد التربوية للعقاب المعنوي في الآيات القرآنية

أ.د. احمد السعدي
عضو الهيئة العلمية جامعة طهران / كليات الفارابي
أ.د. محمود مير خليلي
عضو الهيئة العلمية جامعة طهران / كليات الفارابي
الباحث. حيدر كعيم جلان
جامعة الاديان والمذاهب/ فرع علوم القران/ إيران / قم المقدسة

The Educational Dimensions of Moral Punishment in Quranic Verses

Prof. Dr. Ahmad Al-Saadi
Academic Staff Member, University of Tehran / Al-Farabi Colleges
D–SAADI @ UT -AC IR
Prof. Dr. Mahmoud Mir Khalili
Academic Staff, University of Tehran / Al-Farabi Colleges
mirkhaIiIi @ ut. ac. Ir
Researcher. Heydar Kaim Jalan
University of Religions and Sects / Department of Quranic Sciences / Iran / Holy Qom

Abstract:

There is no doubt that sins negatively impact a person's life. They are like an incurable disease that ravages the soul and body. The impact begins to appear at the psychological level, where the darkness of despair and hopelessness overwhelms the soul, eroding its moral values. The impact then expands to social relationships, leading to the deterioration of family relationships and friendships, and the loss of a person's standing in society. The matter does not stop there; the effects of sins extend to the afterlife, where God punishes the sinner for their transgressions. Therefore, sincere repentance and seeking forgiveness are the only way to escape these destructive effects.

Keywords: self, punishment, education, rebuke, blessings.

الملخص:

لا شك أن الذنوب تؤثر سلبًا على حياة الإنسان، فهي كمرض عضال ينهش روحه وجسده. يبدأ الأثر بالظهور على مستوى النفس، حيث تغشاها ظلمات اليأس والقنوط، وتتآكل القيم الأخلاقية بداخلها. ثم يتسع الأثر ليصل إلى العلاقات الاجتماعية، فيؤدي إلى تدهور العلاقات الأسرية والصداقات، ويفقد الإنسان مكانته في المجتمع. ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تمتد آثار الذنوب إلى الحياة الأخروية، حيث يعاقب الله العاصي على ذنوبه. لذلك، فالتوبة النصوح والاستغفار هي السبيل الوحيد للخلاص من هذه الآثار المدمرة.

الكلمات المفتاحية: الذات، العقاب، التربية، التوبيخ، النعم.

المقدمة

يعدّ موضوع بحثنا الموسوم بـ (الأبعاد التربوية للعقاب المعنوي في الآيات القرآنية) موضوعا رئيسًا يسلط الضوء على سلطة العقاب المعنوي الذي يؤدي الى ردع الانسان عن الوقوع في الذنوب والمعاصي التي قد تتسبب في هلاكه على مستوى نفسه ومستوى مجتمعه الذي يحيط به فهو أمام خيارين هما خذلان في الدنيا وخلود في العذاب لذلك جاء هذا البحث ليسلط الضوء على بعض مظاهر العقاب التي لها القوة الرادعة في بناء الشخصية الانسانية تربويًا ولهذا قدمنا البحث على ستة فروع وهي:

الفرع الاول نسيان الذات

الفرع الثاني التهديد

الفرع الثالث التوبيخ

الفرع الرابع التخويف

الفرع الخامس استحقاق اللعنة

الفرع السادس العيش الضنك

وقد بينت هذه الفروع حقيقة وقوع الإنسان في المعاصي ونتيجة ذلك ثم جاءت الخاتمة مبيّنة لأهم نتائج هذا البحث الذي يعدّ جهداً بذلناه ما في وسعنا لتحقيقه وهو لا شك من فيض رحمة الله فأرجو ان اكون قد حققت شيئا فيه نفع في بناء النفس.

الفرع الاول: نسيان الذات

صرّح العلّامة الطباطبائي أنّ حقيقة النفس البشرية، التي تُعبّر عنها كلمة "إنا"، تُشير إلى ذلك الشعور المُدرك الذي يُميز الإنسان. إنّ الإدراكات الحسية والخيالية والعقلية هي جزء من عوالم النفس، والتي تختلف عن العمليات المادية في أعضاء الجسد. فهذه الأعضاء تقوم بأفعال مادية تفتقر في ذاتها إلى الحياة والشعور. أمّا نسيان النفس فهو نوع من العقاب الروحي الذي يُصيب الإنسان عندما يغفل عن ذكر الله تعالى، ما يؤدّي إلى فقدانه إدراك حقيقة ذاته.[١]

الأساس في التقوى هو ذكر الله تعالى في كل زمان ومكان، وقد قال سبحانه وتعالى: "أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ[٢]". فالمقصود بذكر الله لا يقتصر على تحريك اللسان فقط، بل هو تعبير عمّا في القلب من ارتباط بالله. فاللسان يعكس ما في القلب، والتوجّه القلبي إلى الله تعالى هو ما يحمي الإنسان من الوقوع في المعاصي ويقوده إلى الطاعة.[٣] إنّ الذكر هو حياة القلب وطريق انشراح الصدر وزوال الهموم، ولذا جاءت الدعوة الإلهية إلى الإكثار من ذكر الله في كل الأحوال، كما قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا".[٤]

ان نسيان النفس كما ورد في القرآن الكريم يعدّ شكلاً من أشكال العقاب الروحي، وقد قال الله تعالى: "وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"(٥). هذه الآية تشير إلى أنّ نسيان الله يقود إلى نسيان الذات(٦)، وذلك لأنّ من يتجاهل الله وصفاته المقدسة، مثل كونه الوجود المطلق والعطاء اللامحدود، يتوهّم بأنه غنيّ ومستقلّ عن خالقه، مما يدفعه إلى الغرور وترك الاعتماد على الله.(٧)

السبب وراء نسيان النفس هو نسيان الله وصفاته العليا، مما يؤدي إلى ظنّ الإنسان بأنه مستغنٍ بذاته،(٨) ويخيل له أنّ لديه قدرة ذاتية وعلماً مستقلين، مما يجعله يغرق في شهواته المادية ويتجاهل حقائق روحه وأهدافه الحقيقية.(٩) يقول تعالى: "أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا".(١٠) هذه الآية توضّح أن من يعيش في حالة نسيان الله وتوهّم الاستقلال هو في مستوى أدنى من الحيوانات، لأنّ الحيوانات تتحرك بفطرتها، بينما الإنسان الذي ينكر فطرته الإلهية يتجه نحو الشقاء. وهذا السقوط في الشهوات الحيوانية يتنافى مع الفطرة التي خلق الله الإنسان عليها، والتي تدفعه إلى العبادة والسعي للكمال. يقول الله تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ".(١١)

أما علاج نسيان النفس، فهو العودة إلى ذكر الله، لأن الذكر يجلب السكينة ويجعل العقل والروح في حالة من الطمأنينة. إذا كان الإنسان في طاعة الله، فإنه يكون في حالة ذكر مستمرة، ويكون قلبه مستعداً للاستجابة لكل ما يذكّره بالله ويدعوه إلى الطاعة. الذكر هو السبيل لحماية الإنسان من نسيان ذاته، إذ يحفظه من الانغماس في الملذات الفانية، ويعيده إلى الطريق المستقيم الذي خلقه الله ليسير فيه.(١٢)

الفرع الثاني: التهديد

استخدم القرآن الكريم أساليب متعددة في مخاطبته للنفس البشرية، شملت الترغيب والترهيب، والإنذار والتبشير، والوعد والوعيد. وكان من بين هذه الأساليب أسلوب التهديد الذي يُعدّ أداة فعالة للتعامل مع النفوس التي لا تستجيب لنداء الحق إلا إذا واجهت خطاباً يحمل تهديداً ووعيداً. ولكي يتضح لنا مفهوم التهديد في القرآن بشكل أعمق، يتعين علينا أن نتعرف أولاً على معناه.

القراءة المتأنية للقرآن الكريم تكشف أن أسلوب التهديد لم يقتصر على صيغة التهديد المباشر فقط، بل تجلّى في مواضع متعددة بصيغ متنوعة. من أمثلة التهديد بصيغة الأمر قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.(١٣)

في الآية المذكورة، يأتي التعبير بصيغة الأمر، حيث تُستخدم كلمة "افعل"، ولكنها لا تُراد بمعناها الحقيقي الذي يفيد الأمر الفعلي، بل تُستخدم هنا في سياق التهديد.(١٤) قال تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. فاللام في كلمة "لِيَكْفُرُوا"، قد فسرت بلام التهديد، والتي تُشير إلى تهديد وتحذير المخاطبين بعواقب

أفعالهم. أمّا كلمة "فَتَمَتَّعُوا" فهي أمرٌ يُراد به التهديد أيضًا، وليست دعوة للاستمتاع بالحياة الدنيا على وجه الحقيقة، بل هو تحذير مبطّن بأن هذا التمتع لن يدوم وأنهم سيواجهون في النهاية عواقب وخيمة.(١٥)

استخدم الفعل "لِيَكْفُرُوا" بصيغة الغائب للدلالة على حالة بُعد هؤلاء الأشخاص عن الحق في البداية، ثم تحوّل الخطاب إلى المخاطب في "فَتَمَتَّعُوا" كنوع من الالتفات البلاغي، مما يُضفي قوة على التهديد ويشدّد من وقعه عليهم. يُفهم من هذا الالتفات أن المخاطب بمجرد أن يُهدَّد يواجه الأمر بشكل مباشر وملموس، وكأن الله يقول لهم: استمروا في كفركم وتمتعوا قليلاً بالنعم، ولكن احذروا من النهاية التي ستواجهونها.(١٦)

وقد وردت آية مشابهة في سورة إبراهيم حيث قال تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.(١٧) هذه الآية تبيّن المصير المحتوم للذين يتمتعون بنعم الله دون شكر أو إيمان، كما وتؤكد على أن التمتع الدنيوي لن يكون إلا لحظات زائلة يعقبها عقاب دائم. ومن هذه الآيات نستنتج أن التهديد يأتي كوسيلة لبيان مصير أولئك الذين كفروا بنعم الله وتجاهلوا أوامره، حيث تُظهر هذه الصيغ التهديدية أنهم سيلاقون عواقب أفعالهم يوم القيامة ويرون بأعينهم نتيجة كفرهم وتجاهلهم لما أنعم الله عليهم.

ومن آيات التهديد الآية الكريمة: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾(١٨). هذه الآية تبيّن بوضوح تهديد الله عز وجل لكل مجتمع أو قرية تخالف أمره وتعيش في الكفر والشرك، حيث توضح أن مصير هذه القرى إما الهلاك التام أو العذاب الشديد. والتهديد في هذه الآية يأتي بوضوح لا يقبل التأويل، ويشير إلى أن العذاب لا يقتصر على إهلاك القرية بأسرها بل يشمل تعذيبها عذابًا شديدًا إن لم يهلكها بشكل كامل.

التهديد هنا يتضح من استخدام الله تعالى لصيغة التوكيد في قوله "إِنَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا"، ما يعبّر عن حتمية وقوع هذا الإهلاك والعذاب، وهو موجه إلى المجتمعات التي تعيش في الكفر والعصيان. هذا التهديد يبرز في سياق التحذير والتنبيه لمن لا يتبع أوامر الله ويستمر في الضلال، حيث يوضح أن هذه العقوبات تأتي جزاءً لما اقترفوه من معاصٍ وكفر.(١٩)

إن الآية أعلاه تؤكد أن العقاب سيكون قبل يوم القيامة، فإما أن يكون بالهلاك الكامل للقرية وأهلها، أو بعذاب شديد يُنزل عليهم كتحذير. ويُفهم من السياق أن هذا الأمر مخصص للقرى التي تعيش في الكفر والضلال دون قرى الإيمان.

وقد أشارت بعض التفاسير إلى أن هذه العقوبات قد تقع في آخر الزمان حيث تهلك القرى بعقوبات تشمل بعض سكانها وتكون بمثابة امتحان للمؤمنين الموجودين فيها. وذلك استناداً إلى آيات أُخرى مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾(٢٠)، يتضح أن الله لا يهلك القرى التي يقوم أهلها بالإصلاح، بل يخص العقاب بالقرى التي يمارس أهلها الظلم والكفر. وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا

ظَالِمُونَ﴾[٢١] يؤكد أن سبب الهلاك هو الظلم، الذي يساوي في معناه هنا الشرك، كما يتبين من قول الله تعالى في سورة لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٢٢]، إذ يوضح أن الشرك هو ظلم عظيم، وعقابه العذاب والهلاك. والآية تدل بوضوح على التهديد بهلاك المجتمعات التي تقع في الشرك والمعاصي، كما تحذرهم من عذاب شديد ينتظرهم كنتيجة حتمية لأفعالهم. فهي رسالة تحذيرية لكل من يتخذ الشرك والظلم طريقاً له، مبينةً أن الله لا يهمل حقه وأن العاقبة ستكون وخيمة على المخالفين لأمره.

الآية الكريمة التي تتحدث عن التهديد باستخدام أداة الزجر: قال الله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٢٣]. تعبر هذه الآيات عن التهديد والوعيد بأسلوب زجري، حيث يُستخدم لفظ "كَلَّا" الذي يفيد الردع والإنذار، وذلك لإيقاظ الإنسان من غفلته وتحذيره من عاقبة أفعاله. تفيد الآية أن الإنسان سيعرف حقائق الأمور وعواقب أعماله عندما يزور المقابر، أي عند موته وانتقاله إلى الآخرة،[٢٤] استناداً إلى سياق الآيات السابقة: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[٢٥]، مما يبين أن الوعيد هنا يتصل بتذكير الإنسان بزوال الحياة الدنيا وضرورة الاستعداد للآخرة.

التهديد في الآيات يأتي أيضاً بصيغة المستقبل ليؤكد أن العاقبة تنتظر من يخالف أوامر الله ويعرض عن هداه. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾،[٢٦] التي تشير بوضوح إلى أن جزاء الفاسقين هو جهنم، وهي المآل الذي ينتظر كل من ينحرف عن طاعة الله ولا يؤدي واجباته الدينية.[٢٧]

يمكن أن نستنتج من هذه الآيات أن أسباب التهديد متعددة ومتنوعة، ومنها:

١. التهديد لمن كفر بنعم الله ولم يشكرها.
٢. التهديد بسبب الشرك بالله وارتكاب الظلم العظيم.
٣. التهديد للإنسان الذي يتعلق بالدنيا ويغفل عن الآخرة، مما يؤدي إلى إهمال واجباته الروحية.
٤. التهديد نتيجة العصيان وعدم الطاعة لأوامر الله، والذي يؤدي إلى دخول النار.

الفائدة التربوية من أسلوب التهديد:

يهدف المشرع من خلال استخدام أسلوب التهديد إلى تربية الإنسان وتنبيهه من الناحية الروحية، فالتهديد يعمل على تحفيز روح الإنسان وتهذيب أخلاقه. لأن الله تعالى لم يخلق الإنسان ليعاقبه أو يشقّ عليه، بل خلقه بلطفه وكرمه سينطلق نحو الكمال والسعادة الأبدية. ويعد التهديد أسلوبًا تربويًا يسبق العقاب الفعلي، وهو في جوهره إنذارٌ من الله لتحفيز الإنسان للعودة إلى الصواب وتجنب العقاب. فالتهديد المعنوي، أي الإنذار والتحذير، يكون أكثر تأثيرًا من العقاب الجسدي لأنه يرتبط بنفوس الناس وتفاعلهم الروحي. بالتأمل في أسباب التهديد، يتضح أنها تهدف جميعها إلى تنبيه الإنسان للابتعاد عن المعاصي التي تمنعه من تحقيق الكمال والسعادة

الحقيقية. ويُعدّ هذا الأسلوب التربوي من سبل هداية الله للإنسان للحفاظ على سلامته في الدنيا والآخرة، مما يبرز أن التهديد جزء لا يتجزأ من نظام التربية الإلهية الهادف إلى إكمال الإنسان وتهذيبه. ولا يمكن للإنسان أن يصل إلى كماله الحقيقي ما دام يخالف تعاليم الله وأوامره.

الفرع الثالث: التوبيخ

يعدّ التوبيخ أحد أنواع العقاب التربوي لكن من الجدير أن نوضح معناه قبل التطرق إلى كيفية استخدامه في القرآن الكريم. يُعرّف التوبيخ اصطلاحاً بأنه توجيه اللوم الحاد للمخاطب على فعل ارتكبه أو إهمال أمر معين، ويُعدّ وسيلة تحذيرية تهدف إلى حث الشخص على الامتناع عن تكرار السلوك الموبَّخ عليه، ويأتي عادةً في إطار تربوي لإحداث التوجيه والإصلاح.[٢٨]

يُعتبر التوبيخ من الأساليب الشائعة في الحياة اليومية لتقويم السلوكيّات الخاطئة. ويأتي التوبيخ القرآني كنوع من العقاب المعنوي الذي يهدف إلى تأنيب النفس الإنسانية ودفعها للتفكر والتوبة. ويظهر هذا الأسلوب في عدة مواضع من القرآن حيث يوبَّخ الناس على أفعالهم السيئة بأسلوب لفظي بليغ:

أ. **التوبيخ على النفاق:** قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٢٩]. هذه الآية تُظهر توبيخ الله تعالى لليهود الذين كانوا يطلبون من الآخرين الالتزام بالبر وهم يغفلون عن أنفسهم، رغم أنهم يقرؤون الكتاب.[٣٠] فالاستفهام في هذه الآية (أفلا تعقلون) يُعبر عن اللوم الشديد الذي يهدف إلى توبيخهم على عدم إدراكهم لما يفعلونه من تناقض.[٣١]

ب. **التوبيخ على رفض الهداية:** جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٣٢]. هذه الآية تُظهر أن الله تعالى قد منح الإنسان العقل والقلب والحواس ليستخدمها في إدراك الهداية والتفكر. إلا أن بعض الناس يهملون هذه النعم، فيوبخهم الله ويشبههم بالأنعام، بل يجعلهم أسوأ منها؛ لأن الأنعام على الأقل تؤدي الغرض المطلوب منها بالفطرة، بينما الإنسان لديه القدرة على الاختيار لكنه يختار الضلال.[٣٣]

يحمل التوبيخ هنا دلالات معنوية شديدة، تهدف إلى إيقاظ الضمير الإنساني وتذكيره بالنعم التي وهبها الله له، مثل العقل والقلب والحواس. ويشير النص إلى أن هذه الأدوات يجب أن تُستخدم للوصول إلى الحق والهداية، وإلا كان الإنسان كالمخلوقات الأخرى، بل أشد انحطاطاً إذا لم يُحسن استخدامها.[٣٤]

يؤكد القرآن أن القلب في مصطلحاته يعني مركز العقل والفكر، وأن هؤلاء الناس ورغم امتلاكهم القلوب والعقول إلا أنهم لا يفكرون في العاقبة، فتصبح هذه الأعضاء بلا فائدة.[٣٥] قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾،[٣٦] مما يؤكد أن الهدف من القلب والسمع هو التفاعل مع دلائل الحق.

الغاية من التوبيخ القرآني هي دفع الإنسان إلى مراجعة أفعاله وإصلاحها. إذا ظل الإنسان غافلاً عن هذا التوبيخ ولم يستفد من دلالات الحق، فإنه يكون معرضاً للوعيد الإلهي والعقاب في الدنيا والآخرة.

ج. **التوبيخ على عدم التدبر في القرآن:** قال الله تعالى في كتابه الكريم: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"(٣٧). يمكن فهم هذه الآية وفقاً لما أورده الطبري بأن المعنى المستفاد هو: ألا يتفكر هؤلاء الضالون في مواعظ الله تعالى التي يخاطبهم بها في آيات القرآن الكريم التي أنزلها على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويتأملون حججه وبراهينه الواضحة؟ أم أن قلوبهم مغلقة بأقفال تحول دون إدراكها لمعاني هذه المواعظ والعبر؟ هذه الآية تبيّن أن الله تعالى يوبّخ من يعرض عن تدبّر القرآن مع القدرة على ذلك، وهو إهمال للوظيفة العقلية التي أمر بها الله تعالى لتكون أداة لفهم ما أنزل من مواعظ في كتابه الكريم.(٣٨)

ويذهب صاحب تفسير النور إلى أن هذا التوبيخ يشير إلى الذين لا يستفيدون من عقولهم في تدبّر القرآن بالرغم من أنه كتاب الهداية الشاملة للبشرية. فالعقل هو الوسيلة التي من خلالها يستطيع الإنسان التمييز بين الحق والباطل، وهو ما يجعله مؤهلاً للاستفادة من الهداية الإلهية.(٣٩)

التوبيخ في القرآن الكريم يأتي نتيجة لأفعال سيئة، ويُستعمل كعقوبة معنوية تهدف إلى تنبيه الإنسان وتحذيره من مغبة أعماله، مثل النفاق أو منع الهداية أو إهمال التدبر في القرآن. هذه الأفعال تجعل الإنسان بعيداً عن رحمة الله، وتدفعه نحو طريق الضلال. فالهدف من التوبيخ الإلهي هو أن يوقظ الإنسان من غفلته ويحثه على تصحيح مساره، ليعود إلى طاعة الله والتأمل في كلامه، وبالتالي ينال الهداية التي تبعده عن الضلال وتقربه إلى رضا الله وسعادته في الدنيا والآخرة.

الفرع الرابع: التخويف

يرى المصطفوي أن الخوف يتضمن توقع ضرر محتمل والظن بوقوعه، ويشير إلى جعل الآخرين يشعرون بالخوف،(٤٠) كما في قوله: "يُخَوِّفُ أولياءه(٤١)" بمعنى أنه يجعلهم يشعرون بالخوف.(٤٢)

يُعدّ التخويف أحد أشكال التهديد والترهيب، ويُستخدم كأداة تربوية في بعض الأحيان. كما يلجأ بعض الآباء إلى استخدامه في تربية أبنائهم. قد يكون التخويف وسيلة عقابية تُستخدم في أساليب التربية بهدف تحفيز الناس وترهيبهم لتحقيق نتائج إيجابية في حياتهم. يكون التخويف دافعاً للإنسان نحو الكمال من خلال تحفيزه على الابتعاد عن المعاصي وتجنّب الأخطاء.

ورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم في خطاب الله تعالى للمؤمنين، كما في قوله: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ.(٤٣) ففي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾، يُفهم أن الله تعالى يُخَوِّف عباده الذين يخافون عذابه ويستجيبون لتحذيراته بالامتناع عن المعاصي وتجنب السيئات في أقوالهم وأفعالهم. ويحثهم بقول: "يا عباد فاتقون" ليحفظوا أنفسهم وأهليهم الذين يقودونهم إلى التقوى، حتى ينجوا

من العذاب ويحققوا رضا الله تعالى.[٤٤] فالتهديد بالعذاب هو في الحقيقة من مظاهر رحمة الله ولطفه بعباده، كي لا يواجهوا هذا المصير السيء.[٤٥] وقد جاء في الآية التالية: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.[٤٦]

فائدة الأسلوب التربوي:

التخويف هو من أهم الوسائل التربوية في الدين الإسلامي، حيث يجمع بين الترغيب والترهيب. فالتأمل في القرآن الكريم يُظهر بوضوح تكرار هذا المزيج بين الترغيب والترهيب في قصصه وتعاليمه، كما في قوله تعالى: "نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ".[٤٧] وفي عصرنا الحالي، تُعتبر الوسائل الحديثة مثل الشبكات الإلكترونية التي تنقل صوراً تقريبية ليوم القيامة، ذات تأثير كبير في ترغيب وترهيب المسلمين، خاصةً الشباب، لدفعهم إلى الالتزام بالأوامر الدينية والابتعاد عن المحرمات. فالمسلم إذا شعر بهذا القلق والخوف المقترن بالرغبة، يدرك بعقله أن الله تعالى يأمر عباده بأن يعبدوه على جناحي الخوف والرجاء، وأن يحبوه بقدر ما يخافوه. فرغم تحذيرات الله وتخويفه، إلا أنه تعالى رحيم بعباده، ولا يعاقب إلا من يستحق، مع توجيه الإنسان للاستمتاع بحياته ضمن حدود الشريعة وضوابطها.

الفرع الخامس: استحقاق اللعنة

تحدث الراغب الأصفهاني عن مفهوم اللعن قائلا: إنه الطرد والإبعاد المصحوب بالغضب والسخط. يُعتبر اللعن من الله تعالى في الآخرة عقوبة شديدة، بينما هو في الدنيا انقطاع عن رحمة الله وتوفيقه. أما من جهة الإنسان، فيكون اللعن دعاءً على الآخرين.[٤٨] قال تعالى: "أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ".[٤٩]

اللّعن في جوهره يشير إلى الطرد والإبعاد المشوب بالغضب والاستياء. فاللعن الإلهي يتجسّد في إبعاد الإنسان عن رحمة الله ومواهبه العظيمة التي يفيض بها على عباده. ويُفهم من التفصيلات المتعلّقة باللعن أنه ينقسم إلى نوعين: لعن في الآخرة ويعني العذاب والعقوبة الأبدية، ولعن في الدنيا الذي يتمثل في سلب التوفيق والحرمان من البركة والنجاح.[٥٠]

من خلال التعريف اعلاه نستطيع ان نحدد مجموعة من الفئات التي تستحق اللعن وكالآتي:

أ) من يكتمون الحق جاءت العديد من الآيات القرآنية لتتناول موضوع كتمان الحق وتحديد مصاديقه. ومن بين هذه الآيات، قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ".[٥١]

التفسير: تشير الآية إلى مسألة كتمان الحق عن طريق تغطيته بالباطل، كما جاء في قوله تعالى: "وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ".[٥٢] في هذه الآية، يُنهى عن كتمان الحق عن علم، لأن ذلك يؤدي إلى تضليل البشر. فيما يعتبر العلماء مسؤولون عن هداية الناس وتوضيح الحقائق.

إن كتمان الحق هو سمة من سمات المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويخفون كفرهم، كما قال تعالى: "وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ".(٥٣)

تعريف الكتمان: يمكن تعريف "الكتمان" بأنه إخفاء الشيء، والحق هو الواقع والحقيقة. ولبس الحق بالباطل يُسبب انحراف الناس نحو الضلال. بعض المفسرين يعتبرون أن كتمان الحق وخلطه بالباطل ذنب وجريمة، ولهذا تدعو الآية إلى قول الحق حتى وإن كان ضد النفس وعدم تشويه الحقيقة بخلطها بالباطل.(٥٤)

إن خلط الحق بالباطل يُصعب على الناس الوصول إلى الهداية، ما يؤدي إلى فساد المجتمع وتدمير أبعاده الإنسانية. الله سبحانه وتعالى يعاقب من يكتم الحق. ومع ذلك، قد يكون كتمان الحق جائزاً في بعض الظروف، كما فعل مؤمن آل فرعون حين كتم إيمانه، قال تعالى: "وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ".(٥٥)

ان عقوبة كتمان الحق هي لعنة الله ولعنة اللاعنين، كما ورد في الآية: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ".(٥٦) هؤلاء تجاوزوا حدود الله في بيان الحق وخالفوا ميثاقهم معه، كما أنهم اعتدوا على حق الناس في معرفة الحق.(٥٧) كل من علم بحكم من أحكام الدين، سواء من الكتاب أو السنة أو العقل، وكتمه فهو ملعون من الله والملائكة والناس أجمعين.(٥٨)

ب) الظالمون: قال تعالى: "وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ".(٥٩) الظلم لغةً يعني وضع الشيء في غير موضعه عن تعدٍّ وتجاوز.(٦٠) وتتحدث الآية عن الظلم وأثره، وهو استحقاق الظالمين لعنة الله. لقد ذكر المفسرون أن هذا التحاور بين أصحاب الجنة وأصحاب النار يأتي بعد استقرار كل فريق في مستقره. وقد استخدم الفعل الماضي للتعبير عن المستقبل كدليل على حتمية وقوعه، حيث ينادي أهل الجنة أصحاب النار قائلين: لقد وجدنا ما وعدنا ربنا على ألسنة رسله من النعيم والكرامة حقًّا. فهل وجدتم ما وعدكم ربكم من الخزي والعذاب؟ فيجيبون بـ "نعم" دون أي مجال للإنكار.(٦١) وهنا يرفع مؤذن صوته بين الفريقين معلنًا: "أن لعنة الله على الظالمين".(٦٢)

ان استحقاق الظالمون للعنة يمكن أن نجد الجواب في الآية التالية: "الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ".(٦٣) وهنا تُبَين أوصاف الظالمين، وهي كالآتي:

١. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ: أي أنهم يمنعون الناس من اتباع الحق والاهتداء به، مثل كتمان الحقائق الذي ذُكر سابقًا كسبب لاستحقاق اللعنة.

٢. وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا: أي أنهم لا يريدون الاستقامة والحق، بل يسعون إلى الكذب والخداع والنفاق. فهؤلاء يستحقون اللعنة على أفعالهم، قال تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ".(٦٤)

٣. وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ: أي أنهم لا يؤمنون بالآخرة ولا يخشون حسابها أو عقابها على ما ارتكبوه من جرائم وآثام. وصف القرآن الظالمين بالكفر في هذه الآيات، مما يؤكد استحقاقهم للعنة.(٦٥)

١. فالظالمون الذين يصدون عن سبيل الله، ويسعون إلى عوج الطريق، وينكرون الآخرة، هم الفئة التي تستحق اللعنة الربانية.

ج) الآية في النفاق: قال تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ".(٦٦) النفاق يُعرَّف بأنه إظهار الإيمان وإبطان الكفر، بمعنى أن يُظهر الشخص الإسلام قولاً وعملاً بينما يخفي في باطنه الكفر.(٦٧) الشخص الذي يتصف بهذه الصفة يُطلق عليه اسم "منافق". في بداية سورة البقرة، تطرقت الآيات إلى صفات المنافقين بوضوح، وذكرت أن المنافقين يظنون أنهم يخدعون الله والمؤمنين بإظهار الإيمان وإخفاء الكفر، لكنهم في الحقيقة، لا يخدعون إلا أنفسهم دون أن يشعروا بذلك. وكل هذا بسبب نفاقهم، لذلك حجبت قلوبهم بغشاء غليظ يمنعهم من التفكير السليم، كما قال تعالى: "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا"(٦٨)، والمراد هنا بـ"المرض" هو مرض النفاق الذي يسيهيمن على قلوبهم، فيحرمهم القدرة على التفكير السليم.(٦٩)

عاش المنافقون صدر الإسلام مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وقد صوّر القرآن حالهم من خلال مثالين:

المثال الأول: قال تعالى: "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ".(٧٠) يُشبَّه المنافقون بمن أوقد نارًا ليضيء طريقه، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون، ويعني ذلك أن المنافق يظهر الإيمان ويستفيد مؤقتًا من بعض منافع الدين، ولكن عندما تنقطع عنه تلك الفوائد ينكشف له مصيره المظلم.(٧١)

المثال الثاني: قال تعالى: "أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ، يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ".(٧٢) في هذا المثل، شُبِّه الإسلام بالمطر الذي يحيي القلوب كما يحيي الماء الأرض، وشُبِّهت شبهات الكفار بالظلمات، والرعد والبرق يمثلان تحذيرات القرآن ووعده ووعيده.(٧٣) ان المنافقون يعيشون بين الخوف والقلق المستمرين، في حالة من التردد بين الظلمة والنور، مما يسبب لهم اضطرابًا داخليًا وقلقًا دائمًا.(٧٤)

القرآن الكريم ذكر صفات متعددة للمنافقين في آيات مختلفة، ومن هذه الصفات:

١. الخداع: قال تعالى: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى...".(٧٥)
٢. الكذب: قال عز وجل: "إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ".(٧٦)
٣. الخوف والقلق من الفضيحة: قال تعالى: "يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ".(٧٧)
٤. الصدّ عن سبيل الله والإيمان بالرسول: قال تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا".(٧٨)

النفاق من أخطر الصفات التي تُفسد الحياة الاجتماعية وتحجب الناس عن الهداية، ولهذا استحق المنافقون اللعنة، كما قال تعالى: "وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ".(٧٩)

د) الآية في إيذاء الله ورسوله: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾.(٨٠) وقد تعددت أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية، حيث ذهب بعضهم إلى أن إيذاء الله تعالى يُفهم على أنه سبب لغضبه وانتقامه، وينتج عن الجحود وإنكار وحدانيته أو نسب الشريك أو الولد إليه، أو بمعصية أحكامه.(٨١) بينما رأى آخرون أن إيذاء الله يتضمن إيذاء رسوله والمؤمنين،(٨٢) ذلك لأن إيذاء الرسول يُعتبر إنكارًا لرسالته أو تجاهلًا لسُنّته.(٨٣)

وتتسع دائرة إيذاء الرسول لتشمل الأذى الموجه لعترته وأهل بيته،(٨٤) وقد أوردت الروايات الشريفة قول النبي: «إِنَّ فَاطِمَةَ بِضْعَةٌ مِنِّي، مَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي».(٨٥) فهذا الأذى يستوجب اللعنة الإلهية في الدنيا والآخرة كما ورد في الآية المباركة. فالجزاء على هذا الأذى لا يكون بالإهانة بنفسها، كما هو الحال في القصاص الجسدي مثل "العين بالعين"، بل هو عقوبة روحية ومعنوية. فاللعنة التي تحلّ على من يؤذي الله ورسوله تعني الطرد من رحمة الله، وهذا الحرمان يُلقي بالشخص الملعون في بؤس دائم ويُبعده عن السعادة الإلهية.

هـ) الآية في التكبر: قال تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾.(٨٦) وفي آية أخرى: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾.(٨٧)

التكبر حالة من الإعجاب بالنفس والتعالي على الآخرين بالقول أو بالفعل، ويُعد من أخطر الأمراض الأخلاقية وأكثرها تدميرًا للإنسان. وقد عرّف العلماء التكبر بأنه شعور الإنسان بتفوقه على غيره دون وجه حق.(٨٨) صنف الشيخ مكارم الشيرازي التكبر إلى ثلاثة أنواع في كتابه "الأخلاق في القرآن"(٨٩):

١. التكبر على الله.

٢. التكبر على الأنبياء.
٣. التكبر على خلق الله.

وفيما يخص التكبر على الله، تُعتبر قضية إبليس أبرز مثال في القرآن. فقد رفض إبليس السجود لآدم معتقدًا أنه أفضل منه، مما أدى إلى طرده من رحمة الله ولعنه حتى يوم القيامة، حيث قال: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[٩٠]. هذا الرفض لأمر الله والاعتداد بالأفضلية الذاتية أدى إلى لعنه وطرده، ويعني ذلك حرمانه من الرحمة الإلهية، وهو ما فسّره بعض المفسرين بالطرد.[٩١]

أما إذا تكبّر الإنسان على الله تعالى، فقد وضع نفسه في أدنى مراتب الخلق. فالإنسان في حقيقته ضعيف ومحتاج، وادعاء التفوق على الخالق يؤدي إلى الفساد الداخلي ويحجب عنه الهداية. ويعتبر المثال القرآني الآخر للتكبر هو فرعون الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، فكان تكبره سببًا لهلاكه وحرمانه من السعادة في الدنيا والآخرة.

و) تاركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.[٩٢] تُبيّن هذه الآية أن اللعنة قد وردت في القرآن الكريم وفي سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أفعال وذنوب عظيمة، ومن بين هذه الذنوب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يذكر الله تعالى في الآية أن الذين كفروا من بني إسرائيل استحقوا اللعنة بسبب عصيانهم وتجاوزاتهم، كما نُقل عن النبي داود عليه السلام أنه دعا باللعنة على المعتدين من أهل "إيلة" وهم الذين انتهكوا حرمة يوم السبت بالصيد، وقال: "اللهم ألبسهم اللعنة مثل الرداء"، فكانت النتيجة أن مسخهم الله إلى قردة مذلولين،[٩٣] لأنهم أهملوا فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[٩٤]

اللعنة في الشرع تعني الطرد من رحمة الله، وعندما يُلعن شخص ما من قبل الله أو يُدعى عليه باللعنة، فهذا يعبر عن الإبعاد التام من رحمة الله وعطفه. ورد في التفسير أن من يستحق اللعنة هو الذي يقوم بأعمال تؤدي إلى الإضرار بالمجتمع وفساد العلاقات الإنسانية، مثل كتمان الحق والصد عن سبيل الله، أي منع الناس من اتباع الحق والتضليل، مما يبعدهم عن الهداية ويوقعهم في أحوال بائسة تستحق العقوبة الإلهية.[٩٥]

يهدف هذا الأسلوب التربوي إلى تحقيق الوعي والتحذير من السلوكيات التي تستحق الطرد من رحمة الله، حيث يُبيّن الله تعالى أن من يُصر على ارتكاب المعاصي ويهمل أمر المعروف والنهي عن المنكر، يستحق أن يُحرم من الرحمة الإلهية.

إن خروج الإنسان من دائرة رحمة الله سيجعله يعيش حياة خالية من البركة والمغزى، ويجعل وجوده فارغًا من الهداية والنور الإلهي. في هذا السياق، يُظهر الله تعالى أن الهدف من اللعن هو تنبيه الإنسان وتحذيره من العواقب الوخيمة للذنوب، وحثه على التوبة والرجوع إلى الله ليلحق برحمته وينال الفلاح في الدنيا والآخرة.

الفرع السادس: العيش الضنك

ان العيش الضنك هو العيش الضيق والشاق.[٩٦] ويشير هذا المفهوم إلى الحالة النفسية والروحية للإنسان التي تشهد اضطرابًا وتوترًا، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هذا المعنى يشمل أيضًا عذاب القبر.[٩٧] ولكن من الأرجح أن الآية تشير إلى الحياة الدنيا وما قد يصاحبها من شعور بالضيق والاضطراب، وليس ما بعد الحياة.

يمكن تفسير "العيش الضنك" بأنه حالة من الضيق والضغط النفسي التي تصيب الإنسان عندما يبتعد عن ذكر الله. وقد أكّد بعض المفسرين أن هذا الضيق ليس متعلقًا بالمستوى المادي فقط، بل يشمل البعد النفسي والمعنوي أيضًا، مثل قلق النفس واضطرابها حيال ما يملكه الإنسان وخوفه من المستقبل والتقلبات المفاجئة والأضرار التي قد تطرأ بعد النعيم.[٩٨]

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.[٩٩] يشير هذا القول الإلهي إلى أن العيش الضنك له جانبين رئيسيين:

١. البعد المادي: نقص المال والثروات، مما يسبب ضيقًا ماديًا للإنسان.
٢. البعد المعنوي: حالة من الضيق النفسي وقلق النفس تجعل الحياة شاقة وحرجة.

يمكننا أن نرى أن الإنسان قد يمتلك الثروة الواسعة، ومع ذلك يعيش حياة مليئة بالقلق وعدم الاطمئنان بسبب أسباب متنوعة، مثل الحسد من الآخرين، وعدم القناعة بما يملك، وحب الدنيا الشديد الذي يؤدي إلى الخوف الدائم من فقدان هذه الثروات.

الخاتمة

يمكن القول إن أهم النتائج التي توصل لها البحث هي:

١. استخدم القرآن الكريم أساليب متعددة في مخاطبته للنفس البشرية، شملت الترغيب والترهيب، والإنذار والتبشير، والوعد والوعيد. وكان من بين هذه الأساليب أسلوب التهديد الذي يُعدّ أداة فعالة للتعامل مع النفوس التي لا تستجيب لنداء الحق إلا إذا واجهت خطاباً يحمل تهديداً ووعيداً. لفهم مفهوم التهديد في القرآن بشكل أعمق، يتعين أن نتعرف أولاً على معناه.
٢. التخويف يُعدّ أحد أشكال التهديد والترهيب، ويُستخدم كأداة تربوية في بعض الأحيان، كما يلجأ بعض الآباء إلى استخدامه في تربية أبنائهم. فقد يكون التخويف وسيلة عقابية تُستخدم في أساليب التربية بهدف تحفيز الناس وترهيبهم لتحقيق نتائج إيجابية في حياتهم. كما ويكون التخويف دافعاً للإنسان نحو الكمال من خلال تحفيزه على الابتعاد عن المعاصي وتجنّب الأخطاء.
٣. الغاية من التوبيخ القرآني هي دفع الإنسان إلى مراجعة أفعاله وإصلاحها. فلو أن الإنسان بقي غافلاً عن هذا التوبيخ ولم يستفد من دلالات الحق، فسيعرض نفسه للوعيد الإلهي والعقاب في الدنيا والآخرة.

المصادر

القرآن الكريم
١. ابن بابويه، محمد بن علي، التوحيد للصدوق.
٢. ابن بابويه، محمد بن علي الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال.
٣. ابن أبي فراس، ورام، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف ب"مجموعة ورام".
٤. ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقايس اللغة.
٥. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب.
٦. البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة.
٧. الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن.
٨. السبزواري النجفي، محمد بن حبيب الله، الجديد في تفسير القرآن المجيد.
٩. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن.
١٠. الطريحي، فخر الدين بن محمد، مجمع البحرين.
١١. العاملي، جعفر مرتضى، من سيرة الرسول الأعظم.
١٢. عسكري، حسن بن عبد الله، الفروق في اللغة.
١٣. عودة، عبد القادر، التشريع الجنائي الإسلامي.
١٤. فضل الله، السيد محمد حسين، تفسير من وحي القرآن.
١٥. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن.
١٦. الكافي، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي.
١٧. لويس معلوف، المنجد في اللغة العربية المعاصرة.
١٨. مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.
١٩. مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف.
٢٠. الحسني، د. السيد نذير يحيى، مقالة خصائص المنهج التربوي في القرآن وطرقه.

الهوامش:

(١). الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ١٩٢.
(٢). الرعد: ٢٨.
(٣). الشبرازي، ناصر مكارم الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج ١ ص ٢٥٧.
(٤). الأحزاب: ٤١-٤٢.
(٥). الحشر: ١٩

(٦). الشبرازي، ناصر مكارم الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٨، ص ٢١٠.

(٧). الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص ٢١٩.

(٨). الشبرازي، ناصر مكارم الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٨، ص ٢١٠.

(٩). الطبرى، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن تفسير الطبرى، ج ٢٨ ص ٣٥.

(١٠). البقرة: ٤٤.

(١١). الذاريات: ٥٦

(١٢). التستري، سهل بن عبد الله، تفسير التستري، المجلد ١، ص ٨٥

(١٣). النحل: ٥٥.

(١٤). النحاس، احمد بن محمد، اعراب القرآن للنحاس، ج ٣، ص١٨٦.

(١٥). السمرقندى، نصر بن محمد، تفسير السمرقندى المسمى بحر العلوم، ج٢، ص ٦٤٠.

(١٦). الشيرازي، ناصر مكارم الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٨ ص ٢١٤.

(١٧). إبراهيم: ٣٠.

(١٨). الإسراء: ٥٨

(١٩). الطوسي، محمد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن، ج٦، ص ٤٩٢.

(٢٠) .هود: ١١٧.

(٢١). القصص: ٥٩.

(٢٢). لقمان: ٣١.

(٢٣). التكاثر: ٣-٤

(٢٤). مكي بن حموش، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج ١٢، ص ٨٤١٧

(٢٥). التكاثر: ١-٢

(٢٦). الأعراف: ١٤٥.

(٢٧).الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٥، ص ٢١٧.

(٢٨). الأوسي، أ.د. عباس علي، أساليب التهكم في القرآن الكريم، ص ٥.

(٢٩). البقرة: ٤٤.

(٣٠). شيرازى، ناصر مكارم، نفحات القرآن، ج ٧، ص ١٥٤.

(٣١). الموسوى السبزوارى، عبدالاعلى مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٠٨.

(٣٢). الأعراف: ١٧٩.

(٣٣). مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، ج ٣، ص ٤٢٤.

(٣٤). صادقى الطهراني، محمد، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج ١، ص ٣٨٨

(٣٥). الشيرازى، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٥، ص٣٠١

(٣٦). ق: ٣٧

(٣٧). محمد: ٢٤.

(٣٨). الطبرى، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن تفسير الطبري، ج ٢٦، ص ٣٦.

(٣٩). قرائتي، محسن، تفسير النور، ج ٩، ٩٠

(٤٠). المصطفوى، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم. ص ١٤٥

(٤١). آل عمران: ١٧٥

(٤٢). المصطفوى، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٣، ص ١٤٧.

(٤٣). الزمر: ١٦.

(٤٤). فضل الله، محمد حسين، من وحي القرآن، ج١٩، ص٣١٨.

(٤٥). مكارم شيرازى، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٥، ص ٤٤.

(٤٦). الزمر: ١٥.

(٤٧). الحجر: ٤٩-٥٠.

(٤٨). الراغب الإصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٧٤١.

(٤٩). هود: ١٨.

(٥٠). الشيرازي، ناصر مكارم الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١، ص٣٨١.

(٥١). البقرة: ١٥٩.

(٥٢). البقرة: ٤٢.

(٥٣). المائدة: ٦١.

(٥٤). الشيرازى، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١، ص١٨٦.

(٥٥). الغافر: ٢٨.

(٥٦). البقرة: ١٥٩.

(٥٧). مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، ج ١، ص ٢٤٧.

(٥٨). الشيرازى، ناصر مكارم الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١، ص ٤٥٩.

(٥٩). الاعراف: ٤٤.

(٦٠). إبن فارس أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص ٤٦٨.

(٦١).الصابوني، محمد على، صفوة التفاسير، ج ١، ص ٤١٤.

(٦٢). مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، ج ٣، ص ٣٣٠.

(٦٣). الأعراف: ٤٥.

(٦٤). التوبة: ٦٨.

(٦٥). مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، ج ٣، ص ٣٣٠.

(٦٦). التوبة: ٦٨.

(٦٧). الشيرازي، ناصر مكارم، نفحات القرآن، ج٦، ص٢٧٠.

(٦٨). البقرة: ١٠.

(٦٩). الشيرازى، ناصر مكارم، نفحات القرآن، ج ١، ص ٢٥٩.

(٧٠). البقرة: ١٧-١٨.
(٧١). الطباطبائي محمد حسين الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٥٥.
(٧٢). البقرة: ١٩-٢٠.
(٧٣). صابونى، محمد على، صفوة التفاسير، ج ١، ص ٣٢.
(٧٤). فضل الله، محمد حسين، من وحي القرآن، ج ١، ص ١٦٣.
(٧٥). النساء: ١٤٢.
(٧٦). المنافقون: ١.
(٧٧). التوبة: ٦٤.
(٧٨). النساء: ٦١.
(٧٩). التوبة: ٦٨.
(٨٠). الأحزاب: ٥٧.
(٨١). مغنيه، محمد جواد، التفسير الكاشف، ج٦، ص٢٣٨. حجازى، محمد محمود، التفسير الواضح، ج ٣، ص ١١٤.
(٨٢). قرائتي، محسن، تفسير نور، ج٧، ص٣٩٦.
(٨٣). مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، ج٦، ص ٢٣٨.
(٨٤). نهاوندي، محمد، نفحات الرحمن في تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٩٤.
(٨٥). النسائي، احمد بن على، السنن الكبرى، ج ٥، ص ٩٧.
(٨٦). ص: ٧٦-٧٨
(٨٧). الحجر: ٣٣-٣٥
(٨٨). مكارم شيرازى، ناصر، الأخلاق في القرآن، ج ٢، ص٣٢.
(٨٩). المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٣
(٩٠). ص: ٧٦-٧٨
(٩١). الخطيب الشربينى، محمد بن احمد، تفسير الخطيب الشربينى المسمى السراج المنير، ج ٣، ص٥١٦.
(٩٢). المائدة:٧٨.
(٩٣). مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، ج٣، ص ٤١٢.
(٩٤). قرائتي، محسن، تفسير نور، ج٢، ص ٣٥٢.
(٩٥). الطوسى، محمد بن حسن التبيان في تفسير القرآن، ج٢، ص ٤٧.
(٩٦). فضل الله، محمد حسين، من وحي القرآن، ج ١٥، ص ١٦٢.
(٩٧). الماوردي، على بن محمد النكت و العيون تفسير الماوردى، ج ٣، ص ٤٣١.
(٩٨). مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، ج ٥، ص ٢٥٢.
(٩٩). طه: ١٢٤